الباب الثاني:

ورداتٌ من بستان الشعر المصريّ المُعاصر

شاعراتٌ لهن أجنحةٌ

obeikan.com

عذريّة القصيدة وجنون الأنثى

على راحتيّ هبة الفقي

و قراءة في قصيدة (ميلاد الغرام)

لم تكن هبة الفقي بين أتراب عصرها في فن الغزل إلا من الشّواعر اللاتي يمتلكن حسّا مفعما، و وجدانا خصبا، وفيضا من المشاعر شفيف ورقيق، بالإضافة إلى امتلاكها حصيلة لغوية هائلة مكنتها من الإمساك بزمام القصيدة عن وعي وإدراك، أسلوبا ولغة و تصويرا نديا، وخيطا دراميا محكما. وقد تميّزت عن شواعر عصرها بميزة الجرأة والعنفوان في اقتحام أصعب المناطق وعورة، وهي عاطفة الأنثى، وذلك نظرا للتّقاليد المجحفة، لكنّها الشّاعرة الندية، والأنثى الأبية التي تجد حلاوة وعذوبة لا حدّ لهما عند اقتحام هذا المجال والإبحار فيه، (فن الغزل) متسلّحة بصدق حسّها وعنفوان مشاعرها، متّشحة بثوب الطّهر وجلال المعنى، فهي الموقنة حدّ الإيمان أن ماهية الأنثى ليست في مزاحمة الرّجال مواضيع يتطاحنون فيها إثباتا لفحولتهم الشّعرية، ورغم مزاحمتها لهم كشاعرة قديرة إلا أن مضمارها المحبّب إلى قلبها هو المجال الذي قد هيأت له جنبات الرّوح بماهية الأنثى الحقّة،

وفيوض التحنان، متكئة على معين ثقافتها الإسلامية ونهر ثقافتها الإنسانية الواسعة.

لم تشأ هبة الفقي أن تكون شاعرة تنسج الصّور والكلمات بلاغةً وحلاوة فقط، مبتعدة عن إمتاع ذاتها، ومشاركة لأقطاب الغزل العفيف من أمثال ليلى وعزة ووِلّادة ونازك الملائكة وسعاد الصبّاح وغيرهن، بل تدفق من معين وجدٍ راقٍ وغزل صافٍ رقراق، يتماهى مع طبيعة شخصيتها ورسالتها الأولى التى تقدسها وتعرف قدرها إنّها الحبيبة والزّوجة والعاشقة والأم والسكن، تعطي فتذوب حدّ العطاء، وتذوب عشقا فتنتشي، و تمنح المحبوب قوة دافعة من بذل ومحبّة وفداء.

إنّ فنّ الغزل عند المرأة العربية العصرية أصبح فنّا مهجورا- بشكل كبير- لدى السواد الأعظم من الشواعر الآن، إلا على مَنْ تثق في صدق ما تحمل من مشاعر وفيوضات منهن (هبة الفقي) التي تسطّر في جرأة أنثوية وقدرة بلاغية ما تشاء، معلنة أنّ المرأة ما هي إلا أيكةٌ من حبّ وفيض وحنان، نرى ذلك واضحا جليّا في قصائدها الغزليّة التي أوقفتها على حبيب صار كل دنياها، عشقا وانصهارَ ذاتٍ في ذات، مخاطبة في كلّ قصائدها الغزليّة زوجها الحبيب، مؤمنة كل الإيمان أنّ الحب ما هو إلا مرض لذيذ مستطاب، وطاعة ومرضاة للحبيب في ذات الله،

فتتماهى فيه منتهى التماهي، وتتّخذه ردفا لها وردءا وسندا لها في معترك الحياة. يبدو ذلك جليّا في قصيدتها (ميلاد الغرام) التي تتغنّى فيها بيوم مولده، عشقا ومناجاة، لتعلن للدنيا أنّ مولده كان معجزة وميلادا لها وحياة:

اليومَ أفتحُ للحنيـنِ مرافئَـــــهْ
وأبثُّ أمــواجَ الغـرامِ لأُطْفئَـــــهْ
طقسُ الْجنونِ يلفُّ صمتَ دقائِقي
باللهِ كيفَ لخافقــي أن يُرجِأه
قدْ حانَ صبحُ الْمعجــزاتِ فها
أنا والْأمنياتُ على يَـدِي متلألِئَـــه
سأزيلُ عنْ ثـغــرِ الْفؤادِ لِجامَـــهُ
حتى يبــوحَ بكلّ شــوقٍ خبَّـــأهْ.

(اليومَ) وما ذاك اليوم يا شاعرة؟ أوقد أكننتِ الغرامَ دهرا ثم فاض ريحانا، فكان نهرا وشعرا وغناء؟! إنّ المتتبّع لمشوار هبة الفقي الشّعري يعرف أنّ حرفها الغزليّ لا ينطق، إنْ سرّا أو جهرا إلّا بحبّ فارسها الأوّل وفقط. وقبل الخوض في نهر قصيدها لا بدّ من الوقوف على تلك القافية الملائمة لحالة العشق والتّأوه

والمناجاة (الهمزة المفتوحة والهاء الساكنة) التى تتلاءم و جلال النّجوى وعنفوان الغرام، وتلك الحروف تترى رقراقة وسلسالة مع أمواج بحر الكامل، متغنّية بحلو الهوى وفيض الغرام، فما كان مولده وحبّه إلّا معجزة في زمن الجدب والخداع، نعم، فمتى يصبح الحبّ صادقا يكن معجزة في زمن تداعت فيها قيم الحبّ وانهارت فيه دعائم الوفاء.. (قد حان صبح المعجزات)، وكأن مَولِده قد صار معجزة الزّمان، ولا ضير في تلك المبالغة في مقام العشق والتغنّى بمناجاة المحبوب فـ (الأمنيات على يَدي متلألئة) إذن قد ظفرتْ بلآلئ دنياها وأمنياتها بالقرب منه والاقتران، ولنقف عند تلك الصّورة الشّعرية الجميلة برهة (سأُزيل عن ثغر الفؤاد لجامه) لنرى حقيقة وطبيعة الأنثى ماثلة ههنا، فما قلب الأنثى عند هبة الفقي إلا مُهر جامح لا يصدّه عائق ولا يحجمه عن جنونه حائل، عندما تتملّكه نار الشوق وصهد الغرام، ولنتمعّن جيدا في لفظة

(سأُزيل) لتخبرك حقيقة وقوة وصلابة المرأة عامّة، وعند هبة الفقي خاصّة، فهي المتحكّمة في مشاعرها بعنفوان وجبروت، ولا يمكن لأي مخلوق أنْ يمتلك مشاعرالأنثى إلا إذا أرادت هي ومَنّتْ، فأمر الأنثى دائما بيدها، ثم تواصل السّباحة عبر تدفّق مشاعرها الصّادقة متمنيّة أنْ لو يكمل الزّمان حلاوة شهده

ويحقّق كلّ أمانيها معه:

ماذا لو الأحـــلامُ صبَّتْ شهدَهـــا
أو بدَّلَ الليـــلُ المُعتـّقُ مَبْـــدأهْ؟
ماذا لو البسمــاتُ هلّتْ ريحُـــها
أو صارتْ الأفــراحُ للدنيـــا رئَـــةْ؟
اليومَ أبدأُ حفلَ ميـــلادِ الْهـــوى
سأُضيءُ ضِلْعي شمعـــةً كي أبـــدَأهْ.

(لو) .. ذلك الحرف الذي يوحي إليك بعدم اكتمال مباهج العيش وكأس الهناءة في هذا الزّمان، فهو حرف الامتناع للامتناع، وكأن سعادتها بكأس الحبّ ينقصه ما ينقصه من متع الدنيا ورغد العيش، فماذا لو حنّ الزمان وأكمل عقد فرحها وغيّر الليل المعتّق مبدأه، ومنحت الدنيا الفرح رئة للحياة، ولكن رغُم بخل الزّمان باكتمال طيب العيش إلا أنها لا تبالي، وستمضي لأبعد حدٍ في عشقها، لتمنحه ما لا يمكن أن تمنحه أنثى لحبيب من ولهٍ وعشق، ففي يوم مولده تعاهده وتأخذ له على نفسها العهد، وبعد ذلك تبدأ في طقوس حفلها الخاصّ جدا، غزلا حلوا وغراما صافيا في ليلة خاصّةٍ جدّا، مُدلّلة له ومتغنيّة بحلو الغرام:

سيظَلُّ كالطِّفلِ المُدَلّلِ في دَمِــــي
وأضمُّ بينَ غُصونِ رُوحي ملجَــأهْ
بالشَّمسِ يلهو فوقَ رَبوَةِ مُهْجَتــي
وبأعيُني يُحيي النّجومَ المُطفَـــأةْ
هذا الّذي منهُ استَقيتُ سعادَتـــي
سأفيضُ دومًا بالْحيـــاةِ لِأمــلَأهْ
سأكونُ أمًّـــا للمشاعِرِ طَبْعُـــها
لنْ تَسْتَطيعَ معاجِــمٌ أنْ تقـــرَأهْ

ماذا عساها تلك الأنثى أنْ تكون؟! أولا يكفيها أنْ تكون الحبيبة والعشيقة وكأس الهوى؟! لا، إنها المُحِبّة الوجلة التى تعرف حقوق الحبّ وفروض الغرام فلن تقبل أن تشرب ريَّ غرامه وسكر محبته فقط، بل تتفنن في فنّ العطاء والمنح، لترتشف شهد الرّضا من رضاه، فهناك نفوس قد جُبلت على المنح والعطاء، فهوعندها الطّفل المدلّل، يلهو حبّا ورضا كيفما يشاء، طفل يمنحها بسعادته وعبثه ضوء النّجوم حلاوة وحياة، إنه مصدر سعادتها وحياة لقلب أمومتها، وحاشا أن تحوي غرامَها كلُ معاجم اللغة وكلُ حروف البيان، ومتى كانت اللغة يوما تحوى مشاعر أمٍّ حانية، وعاشقة كان ما كان بها من فيض الهُيام؟!

obeikan.com

إن جمال التصوير ورقته ينبع بالتأكيد من صدق العاطفة وصدق الوجدان، فها هي ترسم لوحة جمالية من تصوير كلّي، لواحة خضراء مفعمة بالزهور، لنرى في تلك اللوحة الشعرية طفلا مدللا يلهو ويلعب فوق صدرها، وسماء صافية منيرة بنجوم السعادة والرضا، وتلك الجنّة لا ينقصها شئ من جمال، فها هو نهر الحياة يسير متدفّقا بخمر المحبّة وماء المحاياة، إنّها تغزل بصورها الجزئية من الاستعارات الجميلة والكنايات صورةً كليّة فيها كلّ مباهج الحياة، فالتّصوير البلاغي والعمق الدلالي ثري وواضح جدا. ولنقف عند دلالات بعض الألفاظ في ذلك المقطع الشّعري (دمي - غصون روحي - مهجتي - بأعيني).. تراسل الحواس عند هبة الفقي مبهر جدّا، ومعّبرغاية التعبير عمّا تملكها وسرى في كلِّ وجدانها روحا و جسدا، فكانت النتيجة الطبيعية (سأفيض دوماً بالحياة لأملأه)، فماذا تبقّى من معاني الحبّ الصافي عند الأنثى لتمنحه، و قد منحته كلّها عن طيب خاطر، أما وحبيبة وزوجة ووفاء. وكعادة شواعر الغزل عبر التراث الشعري يفضن عذوبة وصفاء، فنراها تجابهن وتقارعهن، إنْ حبّا فحب، وإنْ عشقا فعشق، وإنْ همسا فغناء، بل تزاحم فحول الشّعراء في التفاخر والتباهي بالغزل في تيهٍ وفخر غيرَ عابئة بمن حولها من سهام ونقد، فلها عالمها الخاصّ وكونها المتفرد، متغنيّة بعلو

صوتها:

كلُّ القصائِدِ سوفَ تُتلى من فَمي
وستولَدُ الأشعارُ من رَحِمِ امــرأةْ
وسيُدرِكُ العُشَّـــاقُ أنَّ ربيعَهُــمْ
حَرْفــي لأزمــنةِ المحبَّـــةِ هيـــأهْ
لو كانَ شوقــي لَعْنــةً مَرحى بها
والقلبُ من لَعَناتِــهِ لــنْ أبْـــرِئَــهْ.

أية لعنة تتحدثين عنها أيتها العاشقة الشّاعرة؟! ونرى هنا من خلال ذلك المقطع مدى تمكّن الشاعرة من قدرتها اللغوية، وكأنّها تخوض فن المعارضات الشعرية في زمن الأمويين، واثقة من حرفها العصيّ، معلنة أنّها ستكون لمن بعدها منبرا لقصيدة الغزل العذريّ وكونا متفرّدا لشّعر الغزل لن يطاولها فيه أحد، وهذا حقّها المشروع في التغنّى والتفاخر بحبّها، يشفع لها توهّج عاطفتها وغرور الأنثى الفطري. ولنتذوق حلاوة لفظة (ربيعهم) لترى مهارتها في استخدام الألفاظ في مكانها الصحيح، فقد جاءت بلفظ (ربيعهم) ليلائم حالة السعادة والنعيم في الهوى والعشق، ولتبعد – متمنية - عن العشاق ما يلاقونه من وجد وشجن وفراق، فلم تأت بلفظة (خريف) مثلا،

obeikan.com

التي تعبّر عن الفقد والبرد والغياب، وكذلك لفظة (لعنة) لأن الحبّ الحقيقي مَا إنْ يُصاب المرء به حتى يصاب بلعنة طاغية كلعنة الفراعنة، لا يمكن أن يبرأ منها العاشق حتى يفنى، لكنّه المرض المحبّب الذي يسعد به مبتلاه، وكذلك استخدامها

(لن) التي تنبيك عن أنّها ستظلّ على عهد الغرام ما حييت، ولم تستخدم الحرف(لم) الذي يفيد الماضي. وبعد تلك الفقرة التي تشبه فنّ المعارضات الشّعرية والفخر والتباهي والمنازلات الشعرية، ترقّ مرّة أخرى وتلين، فهذا ليس مقام الفخر والتيه، ولكنّه يوم الاحتفال بمولد الحبيب، فيرقّ الخيط الدّرامي ويلين في عذوبة ونداوة طريّة لتدلل محبوبها قائلة في دلال وخفر:

حَطَّ الْوِصالُ رِحالَــهُ في جَنَّتــــي

وأنـــا أعـــدٌ صبابتـــي لأهنِئَـــــهْ

أوليسَ بعد الصَّبْــرِ تأتي فرحَـــــةٌ

وتُبـــادُ بالحسناتِ نـــارُ السّيِّئَـــــةْ

أبْصَرتُ يومَ الْفصلِ في حُكمِ الْهوى

أنَّ القلوبَ بدونِ حُـــبٍّ مُخْطِئَـــــةْ

قـــدرٌ تَجَـلَّى فـــي سمـــا أرواحِـنا

ســـهمٌ وليسَ بوسعِنا أنْ نُبطِئَـــهْ.

(أن القلوب بدون حب مخطئة)، نعم إنه فنّ الغزل النّسوي الرفيع الذي يشعُ حلاوة وشهدا، وها هي تُعدّ كأس اللغة غراما وتملأه من حلاوة روحها كي تسعده (وأنا أُعد صبابتي لأهنئه)، فيالها من أنثى عاشقة تملؤها الصبابة جنونا وعشقا. ولتتعلّم بنات جنسها منها شيئا، من خلال تلك الجملة الساحرة الجامعة، فماذا تقدّم المرأة العاشقة للزّوج الحبيب؟! اختزلت هبة الفقي كلَّ ذلك في جملة (أُعد صبابتي) ولم تخبرهنّ كيف؟! لتترك لكلّ أنثى حسب مقدرتها وثقافتها ما تقدّمه من فنون الهوى وطقوس العشق، ما إنْ يخلصن فيه فقد يأتين بما لم يُؤت به، ولكنها الأنثى المحبّة لجلال الحبّ ليسعد كل البشر. (وتُباد بالحسنات نار السيئة)، ميراث ثقافي من التراث الإسلامي تستخدمه في مبالغة رقيقة (إن الحسنات يذهبن السيئات)، وما أرقّ وأجمل أن يكون الحبيب حسنة زمانها الذي تمحو به سيئات الغياب والبرد قبله، فأي عيدٍ لهذا الحبيب أشهى من هذا الدلال؟ وتلك شموع الوجد صافية صّادقة، من قلب زوجة محبة تعرف مقدار الزّوج وتقدّس كأس الحبّ.

(قدر - سهم) .. استخدام دقيق جدا، فهي الراضية عن

حياتها، ناسبة تلك الحياة الزوجية لسهم القدر وغالبا ما نستخدم لفظ (سهم القدر) سخطا ومرارة، ولكن عند شاعرتنا تستخدمهما رضا ومحبّة بقضاء الله وشكرا على ما منحها ومَنَّ عليها، والدليل على رضاها بهذا السهم القدريّ وحبها وترحيبها بشغف جملة (وليس بوسعنا أن نبطئه)، فهي الفَرِحة العجول بإنفاذ هذا السهم.

إننا أمام تجربة غزلية حلوة وماتعة، مشوقة حدّ الإمتاع والشّوق، من عذوبة ألفاظ خلابّة، وحسن سياق في أسلوب رقيق هادر، ودرامية متنامية حسب وجدان متنامٍ

ومشوق، ما بين الرّقة في الغزل، والقوة في الفخر، والهدوء في الحكمة، وصور بلاغية موحيّة تشي بدلالات متعدّدة، مع براعة في رسم الصور الكليّة لكلّ مقطع وحالته، ووحدة عضوية متماسكة البناء من أول القصيدة لنهايتها، ممسكة ببراعة بكأس الحبّ وشموع التهنئة القلبية لحبيبها في يوم مولده المعجزة.

شكرا هبة الفقي وشكرا لمنْ فجَّر في وجدانها كلّ هذا الحبّ .

((..ميـــلادُ الغـرام ..))

اليـومَ أفتحُ للحنـيـنِ مرافئَـــــهْ
وأبثُّ أمــواجَ الغـرامِ لأُطْفئَـــــهْ
طقسُ الْجنونِ يلفُّ صمتَ دقائِقي
باللهِ كيفَ لخافقــي أن يُرجِئَـــــهْ
قدْ حانَ صبحُ الْمعجــزاتِ فها أنا
والْأمنياتُ على يَـدِي متلألِئَـــــةْ
سأزيلُ عنْ ثـغــرِ الْفؤادِ لِجامَـــهُ
حتى يبـوحَ بكلِّ شــوقٍ خبَّـــأَهْ
ماذا لو الأحـــلامُ صبَّتْ شهدَهـــا
أو بدَّلَ الليـــلُ المُعتّقُ مَبْـــدأَهْ؟
ماذا لو البسمـــاتُ هلّتْ رِيحُـــها
أو صارتْ الأفــراحُ للدنيـــا رِئَـــةْ؟
اليومَ أبدأُ حفلَ ميـــلادِ الْهـــوى
سأُضيءُ ضِلْعي شمعــةً كي أبـــدَأَهْ
سيظَلُّ كالطِّفلِ المُدَلّلِ في دَمِـــي
وأضمُّ بينَ غُصونِ رُوحي ملجَــأَهْ

بالشَّمسِ يلهو فوقَ رَبوَةِ مُهْجَتـــي
وبأعيُني يُحيي النّجومَ المُطفَـــأةْ
هذا الّذي منهُ استْقيتُ سعادَتـــي
سأفيضُ دومًا بالْحيـــاةِ لِأمـــلَأهْ
سأكونُ أُمَّــــا للمشاعِرِ طَبْعُـــــها
لنْ تَستَطيعَ معاجِـــمٌ أنْ تقـــرَأَهْ
كلُّ الْقصائِدِ سوفَ تُتلى من فَمي
وستولَدُ الأشعارُ من رَحِمِ امـــرأةْ
وسيُدرِكُ الْعُشَّـــاقُ أنَّ ربيعَهُـــمْ
حَرْفـي لأزمـــنةِ الْمحبَّـــةِ هيـــأهْ
لو كانَ شوقــي لَعْنـــةً مَرحى بها
والْقلبُ من لَعَناتِـــهِ لـــنْ أبْـــرِئَـــهْ
حَطَّ الْوِصالُ رِحالَـــهُ في جَنَّتـــي
وأنـــا أعـــدُّ صبابتـــي لأهنِئَـــــهْ
أوليسَ بعد الصَّبـــرِ تأتي فرحَـــــةٌ
وتُبـــادُ بالحسناتِ نـــارُ السّيئَـــــةْ
أبْصَرتُ يومَ الْفصلِ في حُكمِ الْهوى
أنَّ القلوبَ بدونِ حُـــبٍّ مُخْطِئَـــــةْ

obeikan.com

قــدرٌ تَجَـلَّى فــي سمــا أرواحِنا
ســـهمٌ وليسَ بوسعِنا أنْ نُبطِئَـــهْ

obeikan.com

المرأة عند فوزية شاهين

المهرة والنخلة فوق الثريا

في كل عصر من العصور الأدبية منذ القدم لم يكن للصوت الشعرى النسائي حضور كبير أو طاغي شأن الرجال، وإن وجد فعلى استحياء، وقليلات من برعن وعلا صوتهن ودام براقا، إلا القلائل جدا على شاكلة الخنساء ونازك الملائكة وليلى العامرية وولادة وغيرهن، وبينهن شرذام متفرقة.

ولكن عندما نقف على تلك العتبة الشعرية النسائية العالية الصوت في جرأة وجسارة غير معهودة على الأدب العربي، فنحن بحق أمام شاعرةٍ شاعرة، تعرف متى تتكلم ومتى تصمت، تعرف أي أدوات شعرية تمتلك و ملكات انثوية تصيح وتهمس ، إنها فوزية شاهين (خنساء العصر) كما لُقبت ، ذلك الصوت الشعري الذي يضرب في ضروب الشعر العربي المعاصر وبلا استحياء، واثقة من ذاتها الشاعرة ومؤمنة بما تملك حد الإيمان .

ونرى ذلك واضحا في كل أعمالها الشعرية ومن أمثلة ذلك قصيدة (هيت لك) التى تعبر فيها بصراحة وجبروت عن ذاتها الأنثوية واعتزازها بأنوثتها بكل فخر، وثقتها وشموخها وكبريائها أولا، ثم اعتزازها

وفخرها بحرفها العصى الذي تروضه، رقة وعذوبة متشحا بثوب الكبرياء والشموخ.
في تلك القصيدة العمودية الخليلية الكاملية المنسوجة بحكمة واقتدار مستخدمة اللغة التراثية الحداثية لتعبر عن قضية إنسانية في المقام الأول وما تعانيه المرأة من التفاف الذئاب الطامعين فيها كسلعة رخيصة على مر العصور كفرش متاع، مستخدمين للإيقاع بها سرد تاريخا - هو من الزيف - كرحيق الزهرة يعجب الفراشات كي يقعن في الشرك، ولكنها النخلة التى تحلق بهامتها فوق الثريا صادحة في تعالٍ وكبرياء ممقوت إلا في تلك الحالة التى تعلن فيها عن شخصيتها وعزة نفسها رادعة من تسول له نفسه، بل تعريه من قناع الزيف.
فلو كان يمتلك بعضا مما يسرد من محامید كاذبة عنده ما علا ولم يذكرها ذلك الشبيه بالرجال..

إنْ كُنْتَ لي، فَأَنَا وَربيَ لَسْتُ لَكْ
ما قُلْتُ يوماً لامرئٍ : يَا.. هَيْتَ لَكْ

هَذِي الشِّبَاكُ أَلِفْتُهَا مِنْ قَبْلِ أنْ
يَرْوِيْ فُؤادُكَ أيَّ دَرْبٍ قَدْ سَلَكْ.

ويظهر ذلك من البيت الأول عندما تتحدث في عنف وتعال مستخدم (إنْ) الشرطية لإمعان الشك في نواياه

(إن كنت لي ...)، ولم تذكر تلك الصفة التي هو عليها، عبدا أو عاشقا أو أو أو، فهي تأبى أن تصفه بالعاشق المحب، فهي التى تأنف ولو جدلا، أن تنسب تلك الصفة لتلك الشخصية المقنَّعة، ويأتيه الرد قسما حاسما مغلظا (لست لك)، وتتابع في فخر معلنة عن خفرها وحيائها الجم:

ما قولت يوما لأمرئ هيت لك

هَذِي الشِّبَاكُ أَلِفْتُهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ
يَرْوِيْ فُؤادُكَ أيَّ دَرْبٍ قَدْ سَلَكْ

أنَا لَسْتُ مِمنْ أوْهَمُوكَ بِسِحْرِ عَيْنِكَ،
أوْ جمالك، أوْ دَلالِكَ، دَونَ شَك.

ثم تظهر مدى تحضرها وخبرتها وحنكتها التى اكتسبتها من الأيام (هذي الشباك ألفتها من قبل)
ولنقف هنا أمام دلالة اللغة عند فوزية شاهين في اسخدام تلك الألفاظ (الشباك _ يروي_ درب)، فالشباك حتما توحي بالخديعة والمكر، فيناسبها تباعا لفظة (يروي) التى تدل على عدم الصدق وأنه معسول الكلام ثم بعدها مباشرة لفظة (درب) لتدل بوضوح على تمرس تلك النوعية من كثرة الخداع، ولكنها الأنثى التي ترى بجلاء لبها ما يحاك لها من زيف الغرام.

ثم تطلقها صرخة قوية مفاخرة بذاتها (أنا لست ممن أوهموك)، فما تملكه من مفاتن مادية جسدية لا تعيرها أى اهتمام فهى الشاعرة التى تعشق الروح والخيال وسمو النفس وليس سحر عينيك أو جمالك فما جمال الرجل إلا خلقه ومشاعره:

زُوراً أتُوكَ بوَصْفِهم،فاعلَم بأنِّي
نَجْمةٌ لَو رُمتَهَا، حَرَقَتْ يَدَكْ

أنَا نَخْلةٌ فَوقَ الظّنُون، وفَوقَ أحْلامِ
الجّنُون، ولِيْ مَدَارٌ في الفَلَك.

ومن خلال الخيط الدرامي للقصيدة تكشف لك الشاعرة عن تلك الشخصية المتغطرسة أنها كانت فلكا ومحل عجب في وسطٍ ما، وكان يتمتع بنجومية زائفة لم تنطل عليها (زورا أتوك بوصفهم)، ولكنها تعلن التحدي مستخدمة صيغة الأمر من زجر وامتهان (فاعلم) ثم مستخدمة ضمير الملكية في شموخ وحرف الجر الزائد في (بإني نجمة) وبعدها تتقن مهارة استخدام التراكيب اللغوية بحرف الامتناع للامتناع (لو) لتبين الاستحالة والنفى المطلق في أنه قد يرومها. وما أبرعها من شاعرة تستخدم مفرداتها بما يعبر عن طاقة الغضب والتحدي بدقة لتعبر عن الشموخ

والغضب في آن واحد في لفظ (رُمتها) ولم تستخدم (نلتها) فمجرد التفكير أو التمنى مرفوض ولن يحدث، فهى تنزه النفس عن مجرد الاقتران ولو في اللفظ .
وتعيد لنا سيرة العربيات الماجدات، فالمرأة العربية في الشموخ والرفعة (نخلة) منزهة عن أن يطولها أحد ولكنها المثمرة أيضا في عليائها، فهي العالية عن درب الخرف والهذيان، ولم تنفِ عن نفسها أنوثتها وفطرتها الأنثوية وما يكمن داخلها من مشاعر وأنوثة، ولكنها تترفع عن الظنون والجنوح، ولكنها الأنثى في مدارها الطبيعي التى خُلقت له، من عذرية وحياء وأنوثة، فما أرق اللغة في يد شاعرة .
ويظهر ذلك عندها في المنحنى الدرامي الرقيق للقصيدة في إظهار حقيقة أنثاها، وأنها الرقيقة، الجنة الورافة الناعمة الخضرة، والمهرة الجموح رغبة وشهوة بكرا وأنوثة لكن بحقها:

أنَا جَنَّةٌ فَوقَ الثُّرَيَّا هَامَتِي
وَجَهنَّمٌ، مَنْ مَسَّ بُرْدَتَهَا هَلَكْ

أنَا مُهْرَةٌ، قَلْبِيْ عَصيٌّ بيْنَما
خيّالُ عُمريْ كلَّ عمري قَدْ مَلَكْ.

ورغم أن المجال هنا مجال رقة وعذوبة ودلال إلا أنه لم يغب عنها لمن توجه خطابها، فتحطاط جيدا حتى

لا يطمع الذي في قلبه مرض.
نعم تبرز صفتها الحقيقية من أنوثة ولكن مع استمرار ضمير الفخر والعظمة (أنا) التى تستخدمه، ولو كانت في مجال الدلال – أزعم - ما استخدمته .
ولن أحدثك عن التضاد التى يظهر جنة ونار الأنثى إذا أحبت وإذا رغبت (جنة _ جهنم) (عصي، ملك)
وغير غامض عند فوزية شاهين الإسقاط الدلالي في المورث و برعاتها في تطويعه ليعبر عن تجربتها الشعرية (مهرة - نخلة – الثريا - عصي ...) فهى واعية لموضوع الاستلهام الذي يخدم الفكره ولا يكن عبئا على النص وليس اسظهارا للثقافة
وليكن لنا وقفة بسيطة مع (خيال عمري كل عمري قد ملك) هنا صفات الأنثى، الأنثى من وفاء وأنوثة ورغبة وشموخ وأصالة وتضحية وإنكار للذات، كل ذلك وإذا تمعنت جيدا تجد أكثر، وهنا تجنح اللغة عندها للرقة والضعف الفطري الذي تكنه المرأة بجوانحها للرجل، فهي رُغم كل ما سبق أنثى، فما بالك لو كانت تلك الأنثى شاعرة؟!.
ثم يعود الخيط الدرمي واللغوى مرة أخرى إلى الصعود لنبرة التأديب والتهذيب الذي من أجله نظمت القصيدة، فلا تفقد الخيط الدرامي من بين يديها كما يقع البعض، ولا تجري خلف الإستظهار اللغوي أو التصوير الجمالي، بل تعود مرة أخرى اللي الحزم،

فهي الشاعرة المحنكة الماهرة وكأنها تكتب سيناريو أدبي وليست تنظم قصيدة دون أن تضيع منها خيوط الحبكة الدرامية.

فبعد أن أظهرت جوهرها الحقيقي تبادر بالاستهجان حتى لا يطمع صاحب تلك النفس المريضة المتغطرسة في دلالها بقولها:

من أنت قل لي ؟

مَنْ أنْتَ قُلْ لِيْ ؟؟ مَا عييتَ مِنَ القِنَاعِ
وأنْتَ تَزْعُمُ أنَّ نُـــوراً شَكَّلَكْ ؟؟

أنَا يَا خَؤُونَاً حِرْتُ فِيكَ فَطابَ لِيْ
يَوْمَ ارتَأيْتُكَ سَادِراً أنْ أسْألَكْ:

أوَ جِئْتَنِيْ كيما تَفُوزُ بِنَظْرةٍ
أمْ جِئْتَنِيْ حتَّى أفُوزَ وَأجْهَلَكْ؟؟

وهنا يكون الاستفهام الاستنكاري ملائما جدا للتبكيت والعتب، مع استخدام صيغة المبالغة في تعرية تلك الشخصية المتقنعة (يا خؤونا) ضاربة في عمق ذاته التي تشكلت ليس من النور بل من الخيانة، ومن ذكاء الشاعرة حتى لا يسأل سائل إذا كانت كما تدعى وأنها لا تهتم وتتجاهله فلم كل هذا؟ فعندها الرد كالسهم واضحا جليا، إن تلك الشخصية قد استفزتها بما تلبسه

من أقنعة و ادعاءات وكثرة تحدث عن نفسه، خاصة أنها لم تسع لمعرفة حقيقته، لأنه لا يمثل لها شيئا، وقد استخدمت لفظة في غاية الروعة من الدقة (ارتأيتك) ولم تستخدم (رأيتك) إذ هم قد حدثوها، فهو في نظرها غير موجود أصلا، ولكن أرادت أن تعريه من كثرة ما قد أشاع عن نفسه وكان مثار حديث الكثيرين. وإذا كانت هي النخلة العالية التي تسبح بهامتها فوق الثريا فمن الطبيعي أن تأتيها تلك الشخصية الهلامية كي تضيف وردة في عروة بدلته يتباهى بها، ولكنه نال ما قد استحق (أو جئتني حتى) وهنا تجد المفارقة اللغوية الجميلة فكان المتوقع أن تقول (تفوز) ولكنها تأبى عليه حتى مجرد لفظة الفوز ولو لفظا، فجاءت مباشرة بالنتيجة الطبيعية لتلك المهرة الأصيلة (أفوز) وكيف فوزها، فقط مع تلك الشخصية يكون بـ (أجهلك).

وهنا لابد أن تقف قليلا مع لفظة (أجهلك)، هل هو تجاهل أم جهل منه وسذاجة وسفه؟أم تجاهل بغيض لتلك الذات المنتفخة غرورا تحت قناع الخيانة والغدر؟.

ما أروع بحرها الشعري (الكامل) الذي استخدمته للتعبير عن تلك الحالة من الغضب والفخر والرقة والعذوبة، وما أروع سير الخيط الدرامي قوة و رقة دون الخلل أو الشرود بعيدا عن جوهر قضيتها، وما أرقى الاستخدام اللغوي المحسوب بدقة مع الروعة

والحكمة في استلهام الموروث العربي الأصيل، ودقة التصوير الخيالي الذي جاء قليلا ليتناسب مع حالة الفخر والتبكيت والتأنيب.
نعم، فوية شاهين صوت شعري له عبقه وتجربته الشعرية الخاصة جدا، ومن الشواعر اللائي حفرن اسمهن بحروف من ألق في عالم الشعر النسائي المعاصر وبقوة.

opeikan.com

(لا هيْتَ لك)

إنْ كُنْتَ لي، فَأنَا وَربيَ لَسْتُ لَكْ
ما قُلْتُ يوماً لامرئٍ : يَا.. هَيْتَ لَكْ

هَذِي الشِّبَاكُ أَلِفْتُهَا مِنْ قَبْلِ أنْ
يَرْوِيْ فُؤادُكَ أيَّ دَرْبٍ قَدْ سَلَكْ

أنَا لَسْتُ مِمنْ أوْهَمُوكَ بِسِحْرِ عَيْنِكَ،
أوْ جمالك، أوْ دَلالِكَ، دَونَ شَكْ

زُوراً أتُوكَ بِوَصْفِهم،فاعلَم بِأنِّي
نَجْمةٌ لو رُمتَهَا، حَرَقَتْ يَدَكْ

أنَا نَخْلةٌ فَوقَ الظّنُونِ، وفَوقَ أحْلامِ
الجّنُون، ولِيْ مَدَارٌ في الفَلَكْ

أنَا جَنَّةٌ فَوقَ الثُّرَيَّا هَامَتِي.
وَجَهنَّمٌ، مَنْ مَسَّ بُرْدَتَهَا هَلَكْ

أنَا مُهْرَةٌ، قَلْبِيْ عَصيٌّ بيْنَما
خيّالُ عُمرِيْ كلَّ عمري قَدْ مَلَكْ

مَنْ أنْتَ قُلْ لِيْ ؟؟ مَا عييتَ مِنَ القِنَاعِ
وأنْتَ تَزْعُمُ أنَّ نُـــوراً شَكَّلَكْ ؟؟

أنَا يَا خَؤُونَاً حِرْتُ فِيكَ فَطابَ لِيْ
يَوْمَ ارتَأيْتُكَ سَادِراً أنْ أسْألَكْ:

أوَ جِئْتَنِيْ كيما تَفُوزُ بِنَظْرةٍ
أمْ جِئْتَنِيْ حتَّى أفُوزَ وَأجْهَلَكْ ؟؟
مَا أجْهَلَكْ!!

obeikan.com